الباب الثانى

أهمية القدس لأصحاب الديانات

obeikan.com

obeikan.com

الأهمية الدينيّة للمدينة

القدس مدينة ذات أهميّة دينيّة كبرى عند أتباع الديانات الثلاث: اليهود والمسيحيون والمسلمون وأظهرت إحدى الإحصائيات من سنة ٢٠٠٠ أن القدس تحوي حاليًا ١٢٠٤ كنيسات، ١٥٨ كنيسة، و٧٣ مسجدًا، وبعض دور العبادة هذه يُعتبر من بين أكثر المواقع تقديساً عند أتباع هذه الديانة أو تلك، إن لم يكن أقدسها في بعض الأحيان، لذا فقد كان انتهاك حُرمة إحدى هذه الدور من بين الأسباب التي أدّت دومًا إلى حدوث نزاعات كبيرة في المدينة والمنطقة ككل.

أهمية القدس عند المسلمين

القُدْس بالعربيّة هي بيت المقدس أو القدس الشريف أو أولى القبلتين، وهي أكبر المدن الفلسطينيّة من حيث المساحة وتعداد السكّان، والأهم دينياً واقتصادياً وهي عند العرب والمسلمين عاصمة فلسطين المستقلّة، تتوسّط القدس المنطقة المحاطة بالجبال بين البحر الأحمر والبحر الميت، وضمن سلسلة جبال الخليل وهى مدينة لها قداستها عند المسلمين والمسيحيين واليهود أي الدّيانات السماويّة الثلاث، فلليهود تعود أهميّتها بعد فتح الملك داود عليه السلام وجعلها عاصمة مملكته وهذا منذ عام ١٠٠٠ ق.م، ثمّ قيام ابنه الملك سليمان عليه السلام ببناء الهيكل، وحتى

الآن يتخذ اليهود ذريعة البحث عن هذا الهيكل لهدم الكثير من المباني المهمة للتنقيب تحتها.

ومن الآثار التي يعتبرها اليهود خاصّة بهم حائط البراق الّذي سمّوه حائط المبكى؛ حيث يقفون قربه ويبكون أمّا عند المسيحيين فالمدينة أيضاً مُقدّسة؛حيث إنّ المسيح صلب(فى اعتقادهم)على أحد تلالها المسمّاة جلجثة في عام ٣٠ للميلاد، وذلك بعد أن وجدت القديسة هيلانة الصليب بعد ٣٠٠ سنة كما ذكر في العهد الجديد، ومن الآثار المهمّة في الديانة المسيحيّة كنيسة القمامة التى يسمونها كنيسة القيامة .

وللمسلمين نظرة خاصّة للقدس؛ حيث تعد المكان الأقدس بعد مكّة المكرمة والمدينة المنورة؛فهي أوّل وجهة توجّه لها المسلمون في صلاتهم لقرابة عام حتى التوجه إلى الكعبة ونعود إلى القدس حيث الصخرة المقدّسة فقد عرج الرسول الكريم محمد صلّى الله عليه وسلم، من عندها ومن الأماكن المهمّة في القدس للمسلمين كافّة مسجد قبّة الصخرة، والمسجد القبلي (المسجد الأقصى) الّذي بُني في العهد الأموي، وحائط البراق.

وتتجلّى أهميّة القدس في قصة الإسراء والمعراج،عندما أسري بالرسول الكريم محمّد عليه الصلاة والسلام إلى القدس، فأمّ الصلاة بكل

الرسل والأنبياء، ثم عرج إلى السماء السابعة وفي هذه الحادثة فرضت الصلاة وكانت القُدْس قبلتها، (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)؛ فهذا يعني أنّ المسجد الأقصى وما حوله أرض مباركة، ويتشارك المسلمون مع الديانات الأخرى في تبجيل أنبيائهم الّذي جاء محمّد عليه الصلاة والسلام ليتمم رسالتهم، فكما أن اليهود يقدّسون القدس لأنها أرض داود وسليمان عليه السلام يفعل المسلمون كذلك، وكما يقدّس المسيحيون القدس لأنها أرض المسيح يفعل المسلمون ذلك، فتتضاعف أهميّة القدس مهبط الملائكة والوحي، ويحشر الناس فيها يوم القيامة.

يعود تاريخ الوجود العربي والإسلامي في القدس إلى سنة ٦٣٨ م عندما فتحها العرب بقيادة الخليفة عمر بن الخطاب وظلت القدس تحت السيطرة العربية ثم الإسلامية ما خلا فترات في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عندما تمكن الصليبيون من تشكيل مملكة القدس الصليبية بها حتى وقوعها بالكامل فى يد الكيان الصهيونى في حرب ١٩٦٧.

تعاقب على المدينة بعد تأسيسها على أيدي اليبوسيين العرب أمم شتى، وأخذها داوود من الكنعانيين حوالي ١٠٠٠ ق.م، ثم دمرها القائد الروماني تيطس.

فتح العرب المسلمون لأسباب دينية واستراتيجية بعد انتصارهم على الرومان في معركة اليرموك وطلب أهلها الصلح والأمان على أن يتولى ذلك الخليفة عمر بن الخطاب ووصل الخليفة عمر إلى القدس، ووقع العهدة العمرية لبطريرك المدينة صفرونيوس وضمنها شرطاً طلبه البطريرك وهو ألا يسكن اليهود فيها.

حافظت على طابعها العربي الإسلامي حتى إبان احتلال الفرنجة لها ١٠٩٩-١١٨٧ واستعادها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧م واستولى عليها العثمانيون عام ١٥١٧ وأعاد سليمان القانوني بناء سور المدينة وطوله أربعة كيلو مترات وارتفاعه اثنا عشر متراً وله ثمانية أبواب.

بنى المسلمون العديد من القباب والمآذن والأروقة والأبواب والسبل في صحن الصخرة المشرفة وبجوارها وفي الحرم وحوله وبنوا في مختلف العهود الإسلامية مساجد بلغت ٣٤ مسجداً معظمها داخل المدينة القديمة وعدداً كبيراً من الزوايا يؤمها الحجاج من مختلف البلدان الإسلامية، كالزاوية النقشبندية للحجاج القادمين من أوزبكستان، وزاوية

الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية للحجاج القادمين من أفغانستان، ولكل زاوية أوقاف ومسجد وغرف للنوم.

أنشأ المسلمون مدارس لطلب العلم، بلغ عددها ٥٦ مدرسة للمسلمين من أهل المدينة ومن المشرق والمغرب، وأصبحت المدينة غنية بالأبنية والنقوش والزخارف الإسلامية والقناديل النادرة التي لا مثيل لها على الإطلاق وقد أسرى الله بالنبي محمد إليها حيث جاء في القران: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) وروي عن النبى ص قوله: إن الله خص فلسطين بالتقديس وجعلها النبي قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين، وأقام الخليفة عمر بن الخطاب مسجده فيها.

وبنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة، ورصد لبنائه خراج مصر لمدة سبع سنوات ونقش أسمه على قبة الصخرة المشرفة مع تاريخ البناء سنة ٧٢ هـ وتعتبر قبة الصخرة والمسجد الأقصى من أهم وأقدم المعالم العربية الإسلامية في المدينة جزءاً أساسياً من التراث الإسلامي ومن أكثره قدسية وصلى صلاح الدين في المسجد الأقصى بعد أن تم الفتح على يديه ونقل إليه المحراب الذي سمي باسمه

من الجامع الأموي بحلب وبقي فيه إلى أن أحرقه اليهود في محاولة إحراق الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩.

والأيوبيون هم أيضاً من رمم جدران الحرم والأتراك العثمانيون هم من جهزوا الكسوة بالقاشاني الملون على أرضية زرقاء كان قبلها مزيناً بالفسيفساء التي اشتهرت بها المدرسة السورية والأتراك أيضًا هم الذين بنوا سور المدينة القديمة، مما جسّد مساهمة الأمة الإسلامية بأسرها في بنائه والمحافظة عليه وعلى تاريخ القدس العريق وطابعها العربي الإسلامي.

إن تاريخ القدس يثبت أنها مدينة عربية أسسها العرب، ويذكر المؤرخ هنري بريستيد أن الكنعانيين من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين منذ عام ٢٥٠٠ ق. م وهذا سبب تسمية فلسطين بأرض كنعان، وهي التسمية التي ذكرتها التوارة وبعد تأسيسها احتلها داوود، ودمرها الرومان ثم شيدوها، وازدهرت في العهد الإسلامي، فهي بحكم التأسيس والبناء والتاريخ مدينة عربية إسلامية فالعرب هم الذين بنوها وعمروها، انطلاقاً من حق الملكية إلى أن جاء الاحتلال الإسرائيلي للقدس الغربية عام ١٩٤٨ والاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية عام ١٩٦٧.

إن تاريخ القدس لا ينفصل عن تاريخ فلسطين وعروبتها والأطماع الاستعمارية واليهودية في أهميتها الدينية والاستراتيجية والسياسية والتجارية منذ القدم وكانت القدس جزءاً لا يتجزأ من سورية والوطن العربي شاركت في صنع أحداثه وتراثه وحضارته فالتحالف بين الاستعمار والصهيونية في غزو البلاد المقدسة لم يكن مسالة دينية إنما مصلحة استعمارية لاستغلال ثروات المنطقة والهيمنة عليها ومحاربة العروبة والإسلام، بالرغم من أن المسلمين حافظوا على حقوق الطوائف المختلفة وتراث المدينة الحضاري فكانت فلسطين عبر التاريخ ، جزءاً لا يتجزأ من سورية وبلاد الشام إلى أن جاءت اتفاقية سايكس بيكو.

اعتبر المؤرخ الإغريقي هيرودوتس فلسطين جزءاً من ديار الشام. وأجمع مؤرخو الفرنجة إبان الحروب الصليبية أن فلسطين ديار شامية وذكر مجير الدين الحنبلي صاحب كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، أن الأوائل قسموا الشام خمسة أقسام: الشام الأولى فلسطين وأوسط بلدها الرملة، والشام الثانية حوران، ومدينتها العظمى طبرية، والشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق، والشام الرابعة حمص، والشام الخامسة قنسرين ومدينتها العظمى حلب وبعكس توصيات لجنة كينج كرين الأمريكية لتقصي الحقائق وسبر رغبات السكان المحليين،

سلخت الدولتان الاستعماريتان بريطانيا وفرنسا فلسطين عن الوطن الأم سوريا كمقدمة لتحقيق المشروع الصهيوني في الديار المقدسة.

حكم المسلمون مدينة القدس ثلاثة عشر قرناً وكانت اللغة العربية، لغة القرآن الكريم هي السائدة، حتى إبان الحكم العثماني فالحضارة التي عرفتها القدس ترجع إلى فترة الحكم الإسلامي فيها وكان سكان المدينة عرباً لساناً وحضارةً واليهود طارئون على المدينة، استوطنوا خارجها. وتعتبر الآثار المسيحية ذات أهمية بالغة لأنها آثار السيد المسيح والحواريين والشهداء، ولا مثيل لها في أي بقعة من بقاع العالم ومنها: كنيسة القيامة التي تضم قبر السيد المسيح، وطريق الآلام وما شيد فيها من كنائس فالمدينة القديمة مليئة بالمساجد والكنائس والمدارس والزوايا والمقابر، وأسندت حراسة كنيسة القيامة، وهي أعظم المقدسات المسيحية في العالم إلى أسرتين مسلمتين مقدسيتين ومعهما مفاتيح الكنيسة.

فضائل بيت المقدس بالنسبة للمسلمين

أهمية بيت المقدس : أن فضائل بيت المقدس كثيرة جداً منها :

- أن الله تعالى وصفه في القرآن بأنه مبارك قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) والقدس هي مما حول المسجد وبهذا تكون مباركة .

- أن الله تعالى وصفها بأنها مقدسة في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : (يا قومِ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) .

- فيها المسجد الأقصى والصلاة فيه تعدل مائتين وخمسين صلاة .

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بيت المقدس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو ، وليوشكن أن يكون [1]للرجل مِثل شطن فرسه من الأرض حيث يَرى منه بيت المقدس ؛ خير له من الدنيا جميعاً.

والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة ، فتكون الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة .

---

١ _ رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني كما في السلسلة الصحيحة .

- أن الأعور الدجال لا يدخلها لحديث وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس[1] .

- والدجال يقتل قريباً من هناك يقتله المسيح عيسى بن مريم [2] .

كما جاء في الحديث (يَقتل ابنُ مريم الدجالَ بباب لُدّ) ولدّ مكان قرب بيت المقدس وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) .

- أنه قبلة المسلمين الأولى ، كما جاء عن البراء رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً [3] .

- أنه مهبط الوحي وموطن الأنبياء وهذا معلوم مقرر وأنه من المساجد التي تُشد الرحال إليها فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام

١- رواه أحمد (١٩٦٦٥) ، وصححه ابن خزيمة (٢ / ٣٢٧) وابن حبان (٧ / ١٠٢) ٢-رواه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان .

ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى[1].

أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمّ الأنبياء في صلاة واحدة في الأقصى في حديث طويل فحانت الصلاة فأممتهم[2] فلا يجوز السَّفر إلى بقعة في الأرض بقصد التعبّد فيها إلا هذه المساجد الثلاثة .

ثانياً :وبناء يعقوب عليه السلام للمسجد الأقصى لا يعني أن اليهود أحق بالمسجد من المسلمين حيث إن يعقوب كان موحداً واليهود مشركون فلا يعني أن أباهم يعقوب إن بنى المسجد فهو لهم بل هو بناه ليصلي فيه الموحدون ولو كانوا غير أبنائه ، ويمنع منه المشركون ولو كانوا أبناءً له ؛ لأن الأنبياء دعوتهم ليست عرقية بل قائمة على التقوى .

ثالثاً : أما قول : وإن النبي صلى الله عليه وسلم أمّ الأنبياء السابقين في الصلاة فمما يؤكد وحدة الرسالة والوحي الإلهي فهذا صحيح من جهة أصل دين الأنبياء وعقيدتهم لأن الأنبياء كلهم يستقون من مصدر واحد وهو الوحي وعقيدتهم جميعا هي عقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبادة وإن اختلفت أحكام شرائعهم من جهة التفاصيل ، ويؤكد هذا نبينا صلى الله

١- رواه البخاري (٤١) - واللفظ له - ومسلم (٥٢٥). ٢- رواه البخاري (١١٣٢) . ومسلم (٨٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ لا تشدوا الرحال إلا ... .

عليه وسلم بقوله أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لِعَلاَّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد[1] ومعنى إخوة لِعلاَّت : الإخوة لأب غير الأشقاء وهم الإخوة من الضرائر.

رابعاً :ليس لليهود حصة في القدس ؛ لأن الأرض وإن سكنوها من قبل فإنها قد صارت للمسلمين من وجهين :

١- أنّ اليهود كفروا ولم يعودوا على دين المؤمنين من بني إسرائيل ممن تابعوا وناصروا موسى وعيسى عليهما السلام .

٢- أننا نحن المسلمين أحقّ بها منهم ، لأن الأرض ليست لمن يعمرها أولاً ، ولكن لمن يقيم فيها حكم الله لأن الله خلق الأرض وخلق الناس ليعبدوا الله عليها ويُقيموا فيها دين الله وشرعه وحكمه ، قال تعالى : (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)لذلك لو جاء قوم من العرب ليسوا على دين الإسلام فحكموها بالكفر يُقاتلون حتى يرضخوا فيها لحكم الإسلام أو يُقتلوا فليست القضية قضية شعوب وأعراق وإنما قضية توحيد وإسلام .

١- رواه مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة

وتحتلّ مدينة القدس مكانة كبيرة لدى الدارسين والباحثين والمؤرخين في جميع العصور، فمنذ عهد الإسلام الأول حيث أولاها مكانة خاصة (بالتوجه للصلاة إليها) فكانت قبلة المسلمين الأولى صلى إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام سبعة عشر شهراً ثم نزل القرآن بشأن تحويل القبلة إلى البيت الحرام:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} وقد ورد ذكرها سبع مرات بما يفيد البركة والقداسة، ثم الآية الهامة والصريحة بهذا الصدد في سورة الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} وقد وردت فيها عدة أحاديث صحيحة السند في المصنفات المعتمدة من كتب الحديث كمصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق الصنعاني ومسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وغيرها من الكتب، بل إنّ هناك عدة مصنفات جمعها مؤلفوها خصيصًا لفضائل بيت المقدس، تفيد بركتها وقداستها وأنها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأرض المحشر والمنشر ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ثم إنّ الرسول صلّى الله عليه وسلم قد صلى بها إماماً بالأنبياء جميعاً، وهذا رمزٌ هام وعميق له أثر كبير

يضفى قداسة على هذه المدينة، ثم إنّه قد عُرج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى من فوق قبة الصخرة المشرفة.

كل هذه الآيات والأحاديث والروايات غرست مكانة وقداسة وبركة هذه المدينة في قلوب أبناء أمّة الإسلام، وكانت زاداً كبيراً لخوض الصراع مع المحتل الغاشم.

لذلك عمل الاحتلال القديم والحديث -الصليبي الحاقد مسبقًا الذي جعل من المسجد الأقصى مستودعًا للقمامة- واقترف الكثير من الجرائم بحق أبناء الإسلام والمسلمين في فلسطين، ثم الاحتلال الأوروبيّ الحديث والمعاصر الذي ورث وتشرّب كلّ أدبيات الحروب الصليبية في مصر وبلاد الشام، ثم الهجمة العسكرية التي سبقتها هجمات فكرية وسياسية على بلدان العالم العربي والإسلامي، وبالذات منطقة القلب منه فلسطين.

وقد أفرز هذا الاحتلال حركة فكرية وعلمية تمثلت فى العلماء من باحثين ودارسين ومؤرخين وسياسيين كما حدث في الحملة الفرنسية على بلاد الشام ومصر وقد عرفت تلك الفئة بالمستشرقين، الذين أنيطت بهم وظيفة هامة داخل دوائر الاحتلال، وقدّموا من خلالها فوائد جليلة كان لها أثرٌ كبير على بقاء الاحتلال ودعمٍ كبير لقوته في البلدان المستعمرة، هذه الفئة من المستشرقين أخذت تبحث وتنقّب في تراثنا

العربي الإسلامي بنوايا مسبقة غير سليمة، مما حدا بها ان تصل لنتائج غير حميدة وغير صحيحة في الأغلب لأنها كانت بغرض التشكيك في الروايات والأحاديث التي غرست فينا حبّ بيت المقدس وعززت مكانته، وقد حدا بالبعض منهم أنْ يتجرّأ على التفسير ويقوم بليّ أعناق النصوص ليقرّر جهْلاً وعبثاً قراءة مبتسرة لبعض العبارات ليقول إنّ المسجد الأقصى ليس هو المقصود المتعارف عليه لدى المسلمين، بل هو في السماء، وهذا غيض من فيض مقولاتهم فقد أخذ هؤلاء المستشرقون يبحثون وينقبون في تراثنا العربي الإسلاميّ من مخطوط ومطبوع؛ ليستطيعوا أنْ ينفذوا بواسطته إلى التشكيك والتقليل من أهمية مدينة القدس في الإسلام، وأنها فقط مقدسة لدى اليهود، وأنّ كل الأحاديث التي وردت جاءت متأخرة في مصنفات الحديث إلى آخر تلك الترهات.

أهمية المدينة عند المسيحيين:

للقدس مكانة مرموقة عند المسيحيين، فهي المكان الذي يحجون إليه، وبها ولد السيد المسيح، ولهم بها ارتباط روحي عال جداً فقد عاش المسيحيون فيها منذ قرون عديدة تعود إلى زمن السيد المسيح فعندهم ما يسمى بدرب الآلام وهو مقدس عند كل الطوائف المسيحية لاعتقادهم أن

السيد المسيح قد صار فيه حاملاً صليبه عندما اقتاده الجنود الرومان لصلبه تنفيذاً لأوامر الوالي الروماني بيلاطس.

ويقودل د. ميخائيل مكسي إسكندر في كتابه القدس وبيت لحم- دراسة جغرافية وتاريخية وأثرية يقول : وقد تعرضوا أي المسيحيين لمتاعب كثيرة هناك ولا سيما من اليهود ومن غيرهم، وقد اغتصب الصليبيون في الغزو الأوروبي لبيت المقدس أملاك المسيحين العرب وكنائسهم، إلى أن أرجعها لهم القائد العربي صلاح الدين الأيوبي، الذي وثق في أمانتهم وأعطاهم دير السلطان، وكانت شئونهم الروحية تدار بمعرفة المطرانية السريانية، إلى أن تم رسامة أول مطران قبطي للقدس وتخومها سنة ١٢٣٦م.

ومن ممتلكات الأقباط بالقدس :

١ ـ دير السلطان وبه كنيستا الملاك، والأربعة كائنات الروحية الغير متجسدة.

٢ ـ دير أنبا أنطونيوس، شمال شرقي كنيسة القيامة، وبه كنيستان باسم القديسين أنطونيوس وهيلانة.

٣ ـ دير مارجرجس بحارة الموارنة قرب باب الخليل.

٤ ـ خان الأقباط للحج منذ عام ١٨٢٩ في حارة النصارى.

٥ ـ كنيسة العذراء بالجثيمانية بجبل الزيتون.

٦ ـ هيكل على جبل الزيتون.

٧ ـ كنيسة باسم ماريوحنا، خارج كنيسة القيامة.

٨ ـ هيكل باسم الملاك ميخائيل ملاصق للقبر المقدس من الغرب.

هذه الأملاك في مدينة القدس فقط وتوجد لهم أملاك أخرى خارج المدينة ليس هنا مكان ذكرها لالتزامنا بمنهج الدراسة.

<u>مكانة القدس لدى اليهود</u>

<u>(القدس في الأساطير اليهودية)، القدس في التوارة:</u>

يورشلايم في التوارة: يروشلايم القدس العاصمة الأبدية لشعب إسرائيل، وتعتبر إحدى المدن القديمة والمشهورة في العالم، وهي مدينة المقدسات ، وقلب الأمة ومركزها الوطني والديني والروحي، وهي عاصمة الكبان الصهيونى الجديدة، ومقر المؤسسات المركزية للدولة والحكومة الصهيونيّة وقد ورد اسم القدس في التوراة ٦٤٠٠ مرة، لم يعرف مصدر هذا الاسم، سميت في عهد القضاة يبوس وبعد أنْ احتلّها الملك

داود سميت مدينة داوود حيث أقام عليها المذبح، أمّا سليمان فقد بنى هناك الهيكل الأول الذي أصبح شعارًا لوحدة اليهود، وعندما تجزّأت المملكة في عهد رحبعام إلى مملكتيْ يهوذا وإسرائيل بقيت القدس عاصمة لمملكة يهوذا فقط.

هذا تصوّر للقدس ومكانتها وتاريخها في التراث والأساطير الصهيونية التي تأسّس عليها إسرائيل وعاصمتها القدس، حيث لا وجود حقيقيّ لإسرائيل بدون القدس، لذلك يعمل الاحتلال على تهويدها باستمرار من حيث المكان والزمان، وقد تناول الكثير من الباحثين والدارسين موضوع الاستيطان وانتهاكات الاحتلال بشكلٍ عام والقدس بشكل خاص، لكنّنا نعتقد أنّ القليل تناول القضية الأهم وهي: اغتيال فكرة القداسة لمدينة القدس من قلوب أبناء المسلمين وهذه القضية من أخطر القضايا التي يتعرض لها أبناء الأمة العربية والإسلامية.

وقد بيّن أهميتها بعض الباحثين المعاصرين فقال عنها: القدس مدينة متميّزة عن سائر المدن في أيامنا هذه، وكذلك كانت ظاهرة غير عادية على مدى تاريخ الإنسان، فإذا تطلّعنا إلى خريطة الشرق الأوسط التاريخية شهدنا قيام مراكز حكم وحضارات أقدم منها ليس فقط في فلسطين فحسب، بل في غيرها من المناطق كمصر أو العراق، حيث

نشأت مدن أهم منها أضعافاً مضاعفة في عصورٍ لم تكنْ القدس فيها معروفة أبدًا، ومع ذلك فالأمر الذي تثيره القدس في الذاكرة الإنسانية أعمق من الأهمية النسبية التي كان من المتوقع أنْ تثيره استنادًا إلى الكبر النسبي لمساحتها، وعدد سكانها في الماضي، أو إلى آثار الحضارة المادية التي بقيت من المراحل الأولى لتاريخها سواء في المدينة نفسها أو في المتاحف المختلفة في العالم إنّ مصدر الانطباعات القوية التي تعكسها القدس في أذهان العامة والخاصة عبر التاريخ وحتى أيامنا هذه ناجمة عن أهميتها الدينية والثقافية .

فمدينة القدس هي على رأس الأعمال الفكرية التهويدية، من طمس للتراث الزاخر والعبث به وتشويهه وتقديمه لأبناء الأمة العربية والإسلامية، وقد قام بهذا الدور الفئة التي تسترّت بستار العلم لخدمة الاحتلال وبالذات في البلاد المحتلة وكان على رأس هؤلاء المستشرقين كثيراً من اليهود الذين استطاعوا تحصيل كثير من العلوم العربية والإسلامية بواسطة جهود المدرسة اليهودية الأولى في الاستشراق التي لم تكنْ لتقوم لها قائمة لولا جهود شبرنجر وجولد تسيهر ومونك وفامبرى وشاخت، وكانت هي الأساس الذي اعتمد عليه المستشرقون اليهود في فلسطين المحتلة.

لقد بدأ الاستشراق اليهوديّ في فلسطين على يد كلٍّ من جوتياين وشلوسنجر، وبلانك وبينس، إلى أنْ امتدّ حتى البروفيسور م.ي.كستر؛ حيث اتّجه بالاستشراق إلى وجهة جديدة تتوجه لدراسة القضايا الحيوية والفعالة مثل: أدب فضائل المدن وفضائل بيت المقدس، نشأتها وأهميتها، الرواية الإسلامية في بلاد الشام أوروايات الشاميين، والقبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى الكعبة وجهاز الاستشراقّ لم يغفلْ باحثوه ودارسوه عن التوجّه نحو دراسة الحق اليهوديّ المزعوم في فلسطين منذ داود حتى وقتنا الحاضر، فما نحن من وجهة نظر تاريخهم إلا غزاة ولسنا بأصحاب الأرض أو الحق ويطلقون على الفترة الإسلامية الاحتلال الإسلاميّ ولقد أفاضت عدة دوائر استشراقية في الوطن المحتل إلى تنبّوءات جديدة ومثمرة ومفيدة في التعرّف على قضايا الصراع العربي- الصهيونيّ وجذوره، ومنه مشروع غزة- أريحا الذي قام بصياغته مستشرقون ولم يغفلْ قادة الاستشراق عن تدريس الإسلام لجيل صابرا الجديد كي يتقن التعامل مع أبناء العروبة والإسلام، فلديهم كتب إسلامية مهمّة قد فُرضت وقرّرت لكي يقرأها أبناء جيش الاحتلال الإسرائيليّ، وعدا الطواقم والأجهزة فهناك أساليب كثيرة تدور في دائرة الاستشراق ينبغي دراستها ورصدها وتفهمها من مؤسسات، ودور نشر، ودوريات،

ومؤتمرات... إلخ وأهمّ مؤسسة تقوم بدراسة الإسلام وتدريسه بدقة وإخلاص لأبنائها اليهود هي الجامعة العبرية وجامعة تل أبيب.

وأهمّ مستشرق خاض في هذا المجال وأسّس الدراسات التي كان لها دورٌ كبير في التطاول على الإسلام وتراثه العظيم هو: أجناس جولد تسيهر١٨٥٠-١٩٢١، المستشرق اليهودي المجري حيث تقدّم بنظرية مفادها: أنّ فكرة قداسة القدس جاءت متأخّرة، ولم يكنْ للقدس أيّ قيمة قبل وجود الخليفة عبد الملك بن مروان الذي قصد من وراء بناء قبة الصخرة التغلّب على منافسه عبد الله بن الزبير، الذي استغلّ قداسة مكة عاصمة ملكه وسيلة للدعاية، ومحاولة تحويل الحج من الكعبة إلى المعبد الجديد بالقدس، كانت إجراءً برّر بأقوالٍ نسبت إلى النبي وإلى بعض أصحابه وتبعاً لهذا الافتراض ظهرت أحاديث مؤيّدة ومضادة للأهمية الدينية لبيت المقدس وحرْمته كأسلحةٍ في الحرب بين المتنافسين على الخلافة وقد ردّد هذه الفرية كلّ من جاء بعد جولد تشيهر، وإنْ اختلف بشيءٍ قليل في طريقة العرض، ولكن كان الجوهر واحداً.

حيث عزّز هذه المقولة الباحث إ. حسون في مقدمة تحقيقه لمخطوط فضائل البيت المقدس للواسطي، فيقول: نقل الأمويّون مقرّ الخلافة من الحجاز، مهد الإسلام، إلى الشام مهد اليهودية والنصرانية، وقد حدت

هذه الخطوة بالأمويين إلى العمل من أجل إضفاء صبغة إسلامية مقدّسة على الشام عامة وبيت المقدس خاصة، ولا شكّ في أنّ معاوية كان مدفوعاً بدوافع سياسية قبليّة بحتة حين قرّر نقل العاصمة إلى دمشق واستبدال الحجاز بالشام ولم يكنْ صعباً عليه إثبات حرمة بلاد الشام فالقرآن يسمّيها الأرض المقدسة في سياق خطاب موسى إلى بني إسرائيل وفيها المسجد الأقصى الذي بارك حوله وإليه أسري بالرسول صلى الله عليه وسلم، كما أنه كان القبلة الأولى للمسلمين وقد وسّع معاوية المعنى الذي يشتمله بيت المقدس إلى الأرض المقدسة وكي ينشر معاوية ذلك بين المسلمين ويدفع عن نفسه تهم علماء المدينة وأصحاب علي وكبار الصحابة الذين لم يؤيّدوه أو يؤيّدوا خطوته هذه، عمل على ترويج الأحاديث والقصص التي تروي ذلك ، ثم يقفز حسون إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فيقول: وممن كان لهم اليد الطولى في ترسيخ مكانة بيت المقدس في الإسلام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي ذكرت إحدى الروايات أنّه تلقّى البيعة فيه، وبنى قبة فوق الصخرة مؤكّداً بذلك أنها مقدسة في الإسلام وحسب حسون، فقد كانت هذه الخطوة من خطوات الدولة الأموية في سبيل تعزيز أمر الإسلام في ديارٍ ما زالت النصرانية راسخة القدم فيها .

وفي موضع آخر يورد حسون زيادات على ما أورده سلفه جولد تسيهر فيقول: انتشر التحديث عن بيت المقدس عن الكتب في نهاية القرن الأول للهجرة وبداية القرن الثاني، وهذه العبارة تعني بصورة عامة مصادر يهودية في الغالب أو نصرانية، فقد حفظ لنا الواسطي أثراً عن خالد بن حازم جاء فيه: قدم الزهري بيت المقدس فجعلت أطوف به في تلك المواضع فيصلي فيها قال إنّ هنا شيخاً يحدّث عن الكتب يُقال له عقبة بن أبي زينب فلو جلسنا إليه قال فجلسنا إليه فجعل يحدث عن فضائل بيت المقدس فلما أكثر قال له الزهري: أيها الشيخ لن تنتهي إلى ما انتهى الله إليه قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} .

ثم يحاول حسون إثارة الشبه حول أحاديث الفضائل فيقول: يتجلّى الصراع بين رجال الحديث كالزهري الذين يرون أنّ فضل بيت المقدس يكمن في أنّه كان المكان الذي أُسريَ بالنبي إليه، وكفاه بذلك فضلاً، وبين القِصاص الذين يجذبون إليهم العامة ويقصّون عليهم القصص من كلّ مصدر كان خاصة من كتب اليهود والنصارى وقد بلغ هذا الصراع ذروته في القرن التاسع للهجرة إلا أنّ النصر طيلة قيام هذا الصراع لم يحالفْ المحدّثين وانتشرت القصص بين المسلمين وأُخِذت على أنّه روايات ثابتة صحيحة ولا أدلّ على ذلك من أنّ مدناً إسلامية كانت في حينه ذات أهمية

كبيرة، وجد علماؤها حاجة إلى ربطها بصورة أو بأخرى ببيت المقدس لإعطاء تلك المدن صبغة إسلامية مقدسة .

الهيكل عند اليهود

وإذا نظرنا إلى الهيكل من وجهة النظر اليهودية، نجد أن الهيكل عندهم يعني بالعبرية بيت همقداش أو البيت المقدس أو هيخال، وتعني البيت الكبير في كثير من اللغات السامية، ومن أهم أسماء الهيكل عندهم: يهوه وهو إله اليهود، أي بيت الإله، وأعِد أساساً ليكون مسكنا للإله، كما يزعم الكتاب المقدس في سفر الملوك الإصحاح الثامن الفقرتان ١٢-١٣ لكنه بعد ذلك أصبح مكاناً للعبادة وأداء الطقوس وتقديم القرابين، ويزعم اليهود أن الهيكل بناه سليمان عليه السلام في الفترة ٩٦٠-٩٥٣ ق.م، وقد بناه فوق جبل موريا وهو جبل بيت المقدس، حيث يوجد الآن المسجدان الأقصى وقبة الصخرة ويسمي اليهود هذا الجبل جبل الهيكل، وجاءت قصة بناء سليمان للهيكل في سفري الملوك الأول وأخبار الأيام.

وقد هدم هذا الهيكل - كما يزعمون - على يد نبوخت نصر البابلي عام ٥٨٦ق.م ثم أعاد اليهود بناءه سنة ٥٢٠-٥١٥ ق.م، والباني له يهودي اسمه زور بابل، ويذكر اليهود انه بني بأمر من الرب وهدم هذا الهيكل الثاني على يد القائد الروماني تيطس سنة ٧٠ ميلادية الذي أقدم على

تدمير القدس، ولم يترك فيها حجراً على حجر، وبطش بالذين حلوا بها من اليهود.

وعبر القرون توالت الفتاوى، حول ضرورة بناء الهيكل، والذي أصّل لذلك موسى بن ميمون الطبيب اليهودي في البلاط الأندلسي، الذي زار القدس عام ١٢٦٧م، ولفت انتباه اليهود إلى ضرورة بناء هيكل، ليكون رمزاً لوحدتهم هيكل مركزي وحيد موحد يكون بديلاً عن أماكن عبادتهم في الكنس ، بحيث يتوقف عصر الحاخامات ويبدأ عصر الكهنة ممن يعودون بالعبادة من بدعه المزامير إلى عادة تقديم الأضاحي والقرابين وذهب موسى بن ميمون إلى أن الهيكل الثالث لن يُبْنى بأيدٍ بشرية، وإنما سينزل كاملاً من السماء.

واختلفت في الهيكل الأفهام وتنوعت الرؤى وتعددت الفتاوى غير أن إقدام أوروبا المسيحية على دفع اليهود إلى داخل العمق العثماني لأسباب مفهومة أذكت من جديد مشاريع بناء الهيكل، إلى أن ابتدع لهم أحد الحاخامات عام ١٥٦٧م فكرة النواح عند حائط البراق الذي سموه حائط المبكى ، ومنذئذ وهم يملأون العالم عويلاً وبكاءً ونواحاً لأجل الهيكل العظيم نبكي وحدنا وننوح ويزعمون أن حائط المبكى هذا من بقايا الهيكل القديم، وهذه قضية فصلت فيها بشكل حاسم لجنة دولية عام

١٩٢٩م، حيث جاء في تقرير لجنة تقصى الحقائق، التي أوفدتها عصبة الأمم السابقة على الأمم المتحدة إن حق ملكية حائط البراق، وحق التصرف فيه وفيما جاوره من الأماكن، موضع البحث في هذا التقرير، هو للمسلمين لأن الحائط نفسه جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف.

معتقدات الهيكل

وللهيكل مكانة كبيرة في معتقدات اليهود وفي وجدانهم الديني، يقول المؤرخ ول.ديورانت في كتابه قصة الحضارة متحدثاً عن مكانة الهيكل وقدسيته لدى اليهود:كان بناء الهيكل أهم الحادثات الكبرى في ملحمة اليهود لأن هذا الهيكل لم يكن بيتاً ليهوه إله اليهود فحسب، بل كان أيضاً مركزاً روحياً لهم وعاصمة ملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، كأنه علم من نار يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض وللهيكل موقع خاص في نفوسهم ووجدانهم يستوي في ذلك المتدين والعلماني، وهم يبالغون في نظرتهم لمكانة الهيكل إلى حد وضعه في مركز العالم ، وحسب تعبير الباحث محمد حماد الطل: لأنه بني في وسط القدس الكائنة في مركز الدنيا، وقدس الأقداس الذي يقع في وسط الهيكل بمنزلة سُرة العالم، ويوجد أمامه حجر الأساس النقطة التي عندها خلق العالم والهيكل عندهم كنز ثمين بل هو أثمن ما في السموات

والأرض، لأن الله - كما يزعمون- خلق السموات والأرض بيد واحدة بينما خلق الهيكل بيديه كلتيهما، بل إن الإله قرر بناء الهيكل بنفسه قبل خلق الكون نفسه.

ولديهم تأملات شيطانية كثيرة بخصوص الهيكل، فالفناء المحيط بالهيكل بمنزلة البحر والمقدس هي الأرض وقدس الأقداس هي السماء، ولما هدم الهيكل في ٧٠م، ولم يستطع اليهود إعادة بنائه ابتدعوا جملة من الأساطير جعلوها عقائد وطقوس لهم، فهم يذكرون الهيكل في كل المناسبات كالولادة والزواج والمرض وصلاة منتصف الليل وعند الوجبات والوفاة ، فعند الزواج مثلاً يحطم العروسان كوباً فارغاً للتذكير بدمار الهيكل، وقد ينثر بعض الرماد على جبهة العريس لتذكيره بهدم الهيكل.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: أن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة عرش داود في القدس وعليه أمير من نسل داود ويصوم اليهود يوما في كل عام، هو يوم التاسع من أغسطس احتفالا بذكرى هدم الهيكل، لأنه هدم في ذلك اليوم، ولهم صلاة خاصة في منتصف الليل حتى يعجل الإله بإعادة بناء الهيكل.

ومن هنا فان الحديث عن الهيكل يأخذ مساحة كبيرة في التراث اليهودي القديم، والحديث، ويد التحريف اليهودية تزيد في المبالغة في الكلام عن الهيكل في كل عصر عن العصر الذي سبقه، ومن مقولات قادتهم السياسيين، وعلى رأسهم بن جوريون أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني:لا معنى ولا قيمة لإسرائيل بدون أورشليم ولا قيمة لأورشليم بدون الهيكل.

التناقض حول مكان الهيكل

ورغم أن موضوع هيكل سليمان له أصل في التراث الديني القديم والحديث عند اليهود، وأنه ذكر في الكتاب المقدس التوراة وبقية الأسفار، وفي التلمود، وهي كتب تم تحريفها بأيدي الأحبار والرهبان، ويحتل مساحة من تاريخهم القديم والحديث وأدبياتهم، إلا أنه من الناحية العلمية الموضوعية، فإن التاريخ لا يثبت وجود هذا الهيكل، بل يُعِدُّه من الأساطير والخرافات المؤسسة للعقيدة اليهودية.

ويمكن الرد على المزاعم اليهودية بخصوص الهيكل من وجوه عدة، من أهمها التناقض والاضطراب والاختلاف الموجود بين نصوص الكتاب المقدس حول مكان وجود الهيكل، ثم الاختلاف بين الطوائف اليهودية في المكان الذي بني فيه الهيكل، فاليهود السامريون يعتقدون انه بني على

جبل جرزيم في مدينة نابلس، ولا يعترفون بالمزاعم اليهودية، ويستدلون على ذلك بسفر التثنية أحد أسفار التوراة الخمسة.

أما اليهود المعاصرون من الحاخامات والعلماء الباحثين، خاصة القادمين من أمريكا وبريطانيا الاشكناز فهم يعتقدون أن هيكل سليمان تحت الحرم القدسي، لكنهم مختلفون فيما بينهم في تحديد مكان الهيكل، واختلافاتهم تصل إلى خمسة أقوال كلها مختلفة ومتناقضة، فمنهم من يزعم أنه تحت المسجد الأقصى، ومنهم من يزعم أنه تحت قبة الصخرة، ومنهم من يزعم أنه خارج منطقة الحرم، ومنهم من يزعم أنه على قمة الألواح وهي في منطقة الحرم بعيداً عن المسجدين.

ولقد أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان الذين نقّبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان تحت الحرم القدسي لا تحت المسجد الأقصى ولا تحت قبة الصخرة، وشاركهم في هذا الرأي كثير من الباحثين اليهود والغربيين، مما دفع بعضهم إلى أن يقول إن الهيكل قصة خرافية ليس لها وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود إسرائيل فلنتشتاين من جامعة تل أبيب ونشرت آراؤه منذ فترة قريبة، وغيره كثير وفنّدت دراسات أجراها باحثون وعلماء آثار يهود فكرة وجود هيكل سليمان في الحرم

القدسي الشريف بل ذهب بعضهم إلى أن الهيكل قد بناه سليمان خارج الحرم القدسي، بل هناك دراسة حديثة لعلماء يهود تنص صراحة على أن منطقة الحرم القدسي الشريف خارجة عن المنطقة المقدسة لدى اليهود.

مكانة الهيكل في السياسة الإسرائيلية

إذا نظرنا إلى موقف السياسة الإسرائيلية من الهيكل، نجد أن معتقدات الساسة اليهود بالنسبة لفلسطين ثلاثة: عودة شعب إسرائيل إلى أرض الميعاد، وقد عادوا-وإقامة دولة لهذا الشعب، تكون أورشليم مدينة الرب عاصمة لها، وقد حققوا هذا عام ١٩٤٨ و١٩٦٧م وإقامة هيكل الرب في جبل موريا على الأرض التي اشتراها داود عليه السلام من أرونا اليبوسي، حيث بناه ولده سليمان وهذا المعتقد يسعون إلى تحقيقه على أرض الواقع، وهناك مخططات يهودية لهدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل مكانه، ويكفي أن نعلم أنهم أعدوا الخرائط والمخططات الهندسية، ولديهم مجسّم معماري للهيكل يحتل جزءاً من مساحة غرفة كبيرة، وكذلك مواد البناء أصبحت جاهزة، وهي محفوظة في مكان سري، وأعدوا أثواب الحرير الخالص التي يرتديها الحاخامات في الهيكل.